

نهاية الدولة الأكديّة وصراع القوميات (السامية والآرية والسومرية) (2334-2004 ق.م)

بقلم
الأستاذ الدكتور
صلاح رشيد الصالحي
تخصص: تاريخ قديم
بغداد 2020

الساميون (الجزيريون)

في عصر فجر السلالات حدث تنافس بين حكام السومريين من أجل السيادة على المدن السومرية من (كيش) شمالاً وإلى الخليج العربي جنوباً (البحر السفلي A. AB. BA. šaplīti، بحر شروق الشمس) وتعرف باسم (kiEN-GI) (بلاد سومر) وبالأكدية (مات-شومريم) بلاد السومريين، أما آشور و (ماري) فكانتا بعيديتين نسبياً، ويعتبر الأكديين من الأقوام التي نزحت من الجزيرة العربية⁽¹⁾، واستوطنوا المنطقة المعروفة باسم (أكد)، وقد كشفت الأدلة الأثرية من عصر (جمدة نصر) أن هؤلاء الأقوام قد سيطروا على هذه الأراضي الزراعية، وبعد ذلك سيطروا على المدن السومرية، عموماً يمكن القول بأنه في القرن الثامن والعشرين ق.م، استقر الأكديين حول مدينة (كيش) (تل الأحيمر) ونجحوا في توسيع سلطانهم في وسط العراق⁽²⁾، ويرى بعض الباحثين أن الأكديين كانوا في العراق منذ أقدم العصور جنباً إلى جنب مع السومريين ودليلهم على ذلك أسماء ملوك (كيش) كان البعض منها سامي، على أية حال كان الساميون يشكلون الغالبية العظمى من سكان وسط وشمال العراق، وعرفت دولتهم باسم الدولة الأكديّة، واطلق السومريين مصطلح (كي-أوري KIURI) وتعني بلاد الأكديين، بينما اطلق الأكديون على أنفسهم (مات اكديين Mat Akkadian)، أما أهم مدنها فهي العاصمة أكد (أكادة)، وكوثه، وسپار، وبابل، وكيش، وبورسبا، ودلبات، الخ، كما عثر على وثيقة سومرية فيها أسماء حرف أكديّة وتعود هذه الوثيقة إلى الألف الثالثة ق.م ومن هذه الأسماء فلاح، والراعي، والنساح، والنجار، والتاجر الخ.

أما الجانب السياسي فبعد ربع قرن من سيطرة (لوكال زاكيزي) (Lugalzagesi) على مقاليد السلطة في وسط وجنوب بلاد الرافدين، أثبتت الأحداث مدى القوة الشخصية التي يتمتع بها الملك السومري، حيث تمكن

(1) الهجرات السامية (الجزرية) إلى بلاد الرافدين لا يقصد بها من قلب الجزيرة العربية التي هي صحراء مترامية تفتقد إلى الوفرة بالمياه والأراضي الزراعية، فهي بذلك ليست مكان ملائم لزيادة السكان وهجرتهم، ولهذا من وجهة الأستاذ الدكتور ماجد عبد شمس في لقاء شخصي معه ذكر بأن مصطلح شبة الجزيرة العربية يشمل من جبال طوروس وحتى سواحل حضرموت على المحيط الهندي، وبذلك تكون المساحة أكبر وهي قادرة على زيادة السكان وهجرتهم.

(2) أصل الأكديون من العناصر السامية الذين نزحوا إلى بلاد الرافدين خلال الألف الرابع ق.م، وعاشوا جنباً إلى جنب مع السومريين، وحتماً هذه الموجات السامية لها تأثير كبير في التغيرات العرقية واللغوية والسياسية، وأوجدت مقومات حضارية جديدة، كما اقتبس الأكديين الخط المسماري الذي اخترعه من قبل السومريين، فانه أيضاً استعملوا كلمات سومرية ضمن مفردات لهجتهم، وأيضاً المجتمع السومري هو الآخر أدخل بعض الكلمات الأكديّة ضمن لغتهم منها (هازي) بمعنى (الفأس) و (شام) ومعناها (سعر) و (سوم) وتعني (ثوم)، وحتماً تلك التغيرات فهما لوكال زاكيزي، وعلى ضوءها الغى نظام دولة المدينة، وأقام دولة مركزية شكل العديد من العناصر الأكديّة رجالها الأوائل، وحتماً هؤلاء وقفوا إلى جانب سرجون الأكدي في إنشاء دولته القوية: جورج رو: (1984)، ص 204-207

من انهاء السيادة التي كانت تتمتع بها دويلات المدن السومرية، وأسس مملكة ضمت معظم انحاء البلاد، وجعل مدينة الوركاء عاصمة له، كما أنه لقب نفسه بلقب (ملك سومر) دلالة على أنجازه الوحدة السياسية للبلاد، ثم مد سلطانه بالفتوحات الخارجية، بعيدا إلى خارج حدود البلاد من (الخليج العربي وعلى طول نهري دجلة والفرات وحتى البحر المتوسط)، ولا يعرف بالضبط إلى أي مدى كانت هذه الادعاءات صحيحة والأرجح انها صورة مثالية وليس من الضروري انها تطابق الحقائق السياسية، ومع ذلك يمكن القول بأنه أقام ما يصح ان نسميه (الامبراطورية)⁽³⁾، ومهما عرف عنه من قوة وحزم وقيادة على الصعيدين السياسي والعسكري، إلا انه واجه شخصية أشد عزيمة واصلب عودا منه، ذلك هو سرجون الاكدي (Sharrum-Kin) (Sargon) (2316-2371) ق.م: اسمه باللغة الأكديّة (شرو- كينو) وتعني (الملك المكين) أو (الرئيس القوي)، حكم (55) عاما⁽⁴⁾، وأسس سلالة حاكمة عرفت بالسلالة الأكديّة، وأقام عاصمة له دعيت (أكد) أو (أكادة)⁽⁵⁾، ثم تولى الحكم من بعده الملك رموش (Rimuš) (2306-2315) ق.م، الابن الأصغر للملك سرجون وأمه تشلوتوم (Tashlultum)، حكم (9) سنوات، أستلم حكم الامبراطورية وحسب مضمون وصية سرجون بأن يتولى رموش الابن الاصغر العرش، ومن ثم يليه أخيه التوأم (مانشتوسو)⁽⁶⁾، ولم يكن الوضع السياسي للمملكة بحالة جيدة وليس بالضرورة سيئا! لكن على رموش أن يستमित من جديد وبكل ما في هذه الكلمة من معنى في سبيل الحفاظ على هذه التركة، وحتى يتسنى له إعادة امتلاكها، كان عليه أيضا كما فعل والده أن يشن حملات عسكرية على اجزاء من سومر وعلى عيلام لإنقاذ الامبراطورية، فقد أثبت رموش قدرة عسكرية استغلها في إعادة الامور إلى نصابها.

(3) التغير في شكلية النظام السياسي من دولة-المدينة إلى نظام الدولة المركزية هي نتيجة حتمية للتغير الديمغرافي بفعل زيادة السكان والهجرات البشرية لأجناس لا يمتون بالصلة بالعرق السومري، كما وان الصراعات حول ملكية الاراضي والمياه بين تلك الدويلات الصغيرة كانت تحقق طموحات الطبقات الحاكمة في زيادة مواردها المالية للحفاظ على مكتسباتها القديمة في الاستقلالية والتحكم بمصير مواطنيها، ومثل هذه الافكار اصبحت لا تلائم عصر لوكال زاكيزي وطموحاته بإنشاء دولة عصرية مركزية بمفهوم تلك الفترة، واستغلال الطاقة البشرية نحو التوسع والسيطرة على مصادر المواد الأولية، ومن الطبيعي اجراءات لوكال زاكيزي حققت الازدهار الاقتصادي وحصل على تأييد الحرفيين وعناصر الجيش والكهنة في المعابد بفعل زيادة الهبات والهدايا للآلهة السومرية، لزيادة المعلومات عن شخصية الملك لوكال زاكيزي : طه باقر : (1973) ، ص 352 – 358 // هاري ساكز : (1979) ، ص 67

Ruth Whitehouse: (1977). p. 43

(4) سامي سعيد الاحمد و (آخرون): الإدارة ونظام الحكم..(1984)، ص 366.
(5) من الصعب تحديد موقعها الجغرافي، لكن على الأرجح في القسم الاوسط من السهل الرسوبي، أي بلاد اكد (كي- اوري) (KI-URI)، واحتمال ان العاصمة اكد هي بابل نفسها : طه باقر : (1973)، ص 362
(6) جورج رو: (1984)، ص 213



شكل 1: رأس من البرونز يعتقد أنه للملك سرجون الأكدي أول حاكم في بلاد الرافدين يسيطر على جنوب وشمال العراق القديم فأصبح ملك سومر وأكد وأنشأ أول إمبراطورية عرفها الإنسان آنذاك (اليمين)، مسلة النصر للملك نرام-سين الأكدي (اليمين)، مشهد من المسلة يصور الملك يقتل الأعداء من قبائل اللولوبي الجبلية في شمال شرق بلاد الرافدين، ويرتدي خوذة مقرنة دليل الألوهية باعتباره وشكل النجمتين أعلى المسلة شعار الآلهة تحمي (الملك المقدس) (اليسار)

من بعده ثم الملك مانشتوسو (Manishtushu) (2291-2306) ق.م ابن الملك سرجون والأخ التوأم للملك ريموش، ومعنى اسمه (Maništušu) (الذي كان معه؟) (7)، وقد حكم (15) سنة، ومعلوماتنا عن مانشتوسو (Manishtushu) جاءت من كتابة نقش على نصب من حجر الديوريت الأسود يشبه المسلة ارتفاعه (1.5) متر، ذكر فيه أنه لم يشأ أن يرسى قواعد حكمه على قوة الجيش فقط، بل عن طريق استملاك أراضي واسعة في مدن مختلفة، وأشار إليها بعنوان (ملك خاص) (8)، وقد سجل في النقش شراء ثمانية حقول كبيرة شمال بابل مجموع مساحتها (3.5) كلم² (9).

ثم استلم الحكم الملك نرام-سين (Naram-Sin) (2254-2291) ق.م، ابن الملك مانشتوسو، معنى الاسم (محبوب الآلهة سين) حكم أمدا طويلا دام (37) عاما، وجعل ابنته (اينمیل-انا) معنى اسمها (سيدة تاج السماء) كاهنة في معبد سين في أور، واعتبر ذو شخصية متأثرة بجده سرجون، فقد أصبح بطلا اسطوريا (10)، ولم

(7) صلاح رشيد الصالحي: (2017)، ص 153-156

(8) دولا بورت. ل: (1971)، ص 36

(9) أشار النص بان مانشتوسو اشترى (2300) هكتار من أراضي مدينة (ماراد) أو (مرد) وأقام الولايم بهذه المناسبة استمرت يومين وحضرها (600) شخص من تلك المدينة، ربما كانوا أعيان ومالكي تلك الأراضي المشترية: سامي سعيد الأحمد:

العراق القديم، الجزء الأول...، (1983)، ص 43

(10) فوزي رشيد: سرجون الأكدي...، (1990)، ص 24

يكن الوضع العام للمملكة يبشر بالخير، وكان نرام-سين يحمل الكثير من صفات جده وكفاءته العسكرية فاصبح بطلا في عيون ملوك السلالات التي حكمت بلاد الرافدين، وتميز حكمه الطويل باستثناء السنين الاخيرة منه بالقوة والازدهار، ولذلك اعتبر أشهر ملك أكدي من بعد جده مؤسس السلالة الأكديّة (11).

الفوضى السياسية والسقوط الأكدي

بدأت الحالة السياسية في الدولة الأكديّة وكأنها تتحدر نحو الهاوية رغم جهود انقاذ الموقف المتردي الذي سعى اليه الملك شار-كالي-شري (Shar-Kali-Sharri) (2230 – 2254) ق.م ابن الملك نرام-سين ومعنى الاسم (ملك كل الملوك) (12)، وهو الابن الرابع للملك نرام-سين، حكم (25) عاما، وقد وصف نفسه بأنه باني (الايكور) (= بيت الإله انليل)، وادعى الإلهوية امتدادا لادعاء والده نرام-سين حيث وجد اسمه مختوما على ختم اسطواني مسبوqa بعلامة (✱) الإلهوية (dingir)، ويتميز حكمه بكثرة ما وصلنا منه من السجلات التاريخية من بينها ثبت بأسماء السنين المؤرخ منها (Date-Formulae) وهذا يمكننا من ترتيب بعض الاحداث المهمة بحسب تسلسلها التاريخي (13)، فعلى الصعيد الخارجي كانت بلاد الرافدين تحتفظ منذ عهد نرام-سين بعلاقات حميمة مع بلد عيلام حيث شمل نرام-سين مدينة سوسة برعايته الشخصية، فأول معاهدة واضحة نعرفها حاليا هي الاتفاقية التي عقدت بين نرام-سين مع (خته) (Khita) أو (خيان) ملك (اوان) (الملك الحادي عشر في سلالة اوان)، وكان معاصرا لنرام-سين (14) في عيلام (حاليا إيران)، وقد أعتبر الملك (اوان) نفسه في هذه المعاهدة عدوا لمن يعادي نرام-سين وصديقا لكل صديق له، ولم يذكر نرام-سين مثل ذلك بالنسبة لملك (اوان) الامر الذي يؤكد تبعية ملك (اوان) للملك الأكدي وبذلك تقع حماية الأول على الثاني (15)، ونسخة المعاهدة محفوظة في متحف اللوفر بباريس، ويظهر ان المعاهدة كانت على قدر كبير من الاهمية بالنسبة للبلدين بحيث ان الملك نرام-سين حضر شخصا إلى العاصمة العيلامية ومعه بعض رجال بلاطه، وجرى تكريس تمثال للإله من أجل حياة الملك الضيف (16)، وفي عهد (شار-كالي-شري) قام حاكم عيلام (بوزور-إنشوشناك) (Puzur- Shushinak) الذي ترك عدد من النقوش باللغتين الأكديّة والعيلامية أشار فيها إخضاع قبائل جنوب جبال زاكروس لصالح ملك بلاد الرافدين، بيد أن (بوزور- إنشوشناك) (17) ما لبث أن أعلن استقلال مملكته اثناء فترة حكم (شار-كالي-شري) كما ترك استخدام اللغة الأكديّة فيما بعد مستبدلا اياها باللغة العيلامية، وفي أحد النقوش أشار بأنه اخضع (60) مدينة أكديّة تحت سلطته (18)، ووصلت به الجرأة حد اطلاق الالقاب منها (ملك اوان العظيم) و (ملك البلاد) و (ملك الكون) على نفسه، ولم يكن الملك الأكدي (ملك كل الملوك) قادرا على التدخل لانشغاله في اخماد التمردات التي اندلعت داخل بلاد سومر نفسها وفي الحرب ضد القبائل اللولوبيين، والگوتيين، وبدو سوريا (19).

(11) صلاح رشيد الصالحي: (2017)، ص

(12) اقتبس هذا الاسم الملكي شار-كالي في عهد الدولة الاخمينية الفارسية وترجم إلى (شاهنشاه)، وأطلق فيما بعد كاسم يحمله ملوكهم.

(13) طه باقر : (1973)، ص 371

(14) هذه المعاهدة دونت باللغة العيلامية، في حين ان كل النصوص المكتشفة في عيلام من هذا العصر مدونة باللغة الأكديّة، عموما الوثيقة مخرومة مما سبب ضياع اجزاء كبيرة من النص مع صعوبة قراءة ما تبقى منها: فاضل عبد الواحد علي و

(آخرون): صراع السومريين والاكديين مع الأقوام الشرقية ..، (1983)، ص 36

(15) سامي سعيد الاحمد و (آخرون): الإدارة ونظام الحكم...، (1984)، ص 386-387

(16) Marc Van De Mieroop : (2007) p.71

(17) يعتبر الإله (إنشوشناك) (Inshushinak) أحد كبار الآلهة العيلامية والذي دخل في تركيب اسماء كثير من ملوكهم هو عبارة عن صيغة سومرية أصلها (N)in- shushin- ak) (بمعنى (سيد مدينة شوش) (سوسه) : فاضل عبد الواحد علي و

(آخرون): صراع السومريين والاكديين مع الأقوام الشرقية ..، (1983)، ص 30

(18) Hrozný, Bedřich: (1953). p. 75

(19) جورج رو : (1984)، ص 216

لم تكتفي عيلام بالاستقلال بل هاجمت مدينة أوبس (أوب) (Opis) (تل المجيلعات جنوب شرق بغداد وتكتب بالأكدية URU. Ap-šu URU. ú-pi-i) في طريقهم نحو مدينة بابل، ومع أن الملك الأكدي استطاع أن يطرد العيلاميين عند مدينة أوبس واخضع مدينة (خويسانا) (Khapsana) (تابعة لعيلام) إلا أنه لم يفلح في ارجاعهم إلى سلطته⁽²⁰⁾، وما كاد ينتهي من دفع خطر الغزو العيلامي حتى وجد نفسه ازاء خطر من الجهات الغربية، من جموع الاموريين (Amurrû) فقد جاء اسم سنة حكمه الثانية بانها السنة التي تغلب فيها على الاموريين في مرتفعات (يسار) أو (بشري) (المرتفعات الممتدة إلى الضفة اليمنى من الفرات) وهذه أقدم إشارة على هجرات الاقوام السامية الغربية إلى سهول بلاد الرافدين، وتمكن شار-كالي-شري أن يصد جموع الاموريين⁽²¹⁾. وخلال السنتان الاخيرتان من حكم نرام-سين ظهرت في الوركاء (اوروك) (Uruk) السلالة الرابعة التي قادت التمرد في جنوب بابل ضد السيادة الأكديّة وقد حكمت فترة (30) عاما من (2230-2260) ق.م حكم فيها خمسة ملوك، وهذا الانفصال ساعد على تقويض الامبراطورية الأكديّة، وعلى ما يبدو أن التمرد والاستقلال كان رد الفعل السومري ضد الحكم الأكدي، وعموما هؤلاء الملوك لا اهمية لهم من الناحية السياسية غير موقفهم العدائي اتجاه الدولة الأكديّة⁽²²⁾.

اسم الملك	عدد سنوات حكمه
اور- نغن (Ur- nigin)	حكم (7) سنوات
اور- گيگر (Ur- gigir)	حكم (6) سنوات ابن (اور- نغن)
كُدا (Kudda)	حكم (6) سنوات
بوزر- ايلي (Puzur- ili)	حكم (5) سنوات
اور- اوتو (Ur-utu)	حكم (6) سنوات

جدول 1: اسماء سلالة الوركاء الرابعة (حسب قائمة اسماء ملوك سومر)

هناك منافس آخر لمملكة شار-كالي-شري، ومحتمل كانت سابقا مصدر از عاج في عهد نرام-سين في المناطق الشمالية الشرقية وتعرف باسم بلاد الغوتيين ضمن جبال زاكروس، وفي حادثة أخرى ذكر الملك الأكدي انه جرد حملة على قبائل الغوتيين، ويدعي الانتصار عليهم في سنة اخرى، وأسر ملكهم المسمى (شارلكاب) (Sharlagab) في المعركة، لكن الانتصار الأكدي لم يكن حاسما فقد وصلوا القتال ضده، والنتيجة ان سومر وأكد انهزمت امام هؤلاء البرابرة، وفي تلك الفترة الفوضوية حمل شار-كالي-شري القاب أخرى (ملك أكد) وفي بعض الاحيان (إله بلاد أكد)⁽²³⁾.

حكم الملك الأكدي سنوات كانت مليئة بالأحداث السياسية والعمرانية، ففي نسخة متأخرة ذكر تسمية نفسه (الابن الحبيب لأنليل)، وهناك لوح يذكر سنة أطلق عليها أسم (السنة التي ساعد شار-كالي-شري بها بوزور عشتار في بناء معبد انليل)، وفي سنة أخرى (وضع بها حجر أساس لمعبد انليل في نفر)⁽²⁴⁾، وأختفى (شار-كالي-شري) خلال فتنة عصفت بالبلاط الملكي وفوضى سياسية عصفت بدولة أكد، واطار خارجية واخرى داخلية، مما جعل من الصعوبة معرفة من الذي يحكم فعلا، فقد ذكرت في جداول الملوك السومريين عبارة مختصرة توضح حالة الفوضى وهي: (لم يكن يعرف من هو الملك؟ ومن هو غير الملك)⁽²⁵⁾، وهكذا اختفى

(20) طه باقر : (1973) ، ص 371

(21) فوزي رشيد: نرام-سين..، (1990)، ص 118 // طه باقر: (1973) ، ص 372 // جورج رو : (1984) ، ص 216
(22) Bedřich Hrozný: (1953). p. 75

(23) طه باقر : (1973) ، ص 372 // جورج رو : (1984) ، ص 217-218

(24) هاني عبد الغني عبد الله بكر : (2005)، ص 43

(25) هاري ساكر : (1979) ، ص 72 // طه باقر : (1973) ، ص 372

Bedřich Hrozný: (1953). p. 75

(شار-كالي-شري) خلال فتنة عصفت بالبلاط الملكي الاحتمال الكبير قتل مثل الملكين رموش، ومانشتوسو من قبل، أعقب مقتل الملك الأكدي فوضى في العاصمة (أكاده)، وقد بلغت الذروة مع ضعف ملوك أكد وعدم قدرتهم على فرض سيطرتهم كما تشرحها قائمة الملوك السومريين بأسلوب معبر فيما يلي:

(من هو الملك، ومن هو غير الملك؟) ⁽²⁶⁾، هل كان (ايكيكي) ملكا؟ هل كان (نانيوم) ملكا؟ هل كان (ايمي) ملكا؟ أم كان (ايلو-دان) ملكا؟ حكم أربعة ملوك مدة ثلاث سنوات! ⁽²⁷⁾، هذه الفوضى دفعت المدن السومرية إلى اعلان استقلالها أسوة بمدينة الوركاء (اوروك) التي أصبحت تحكمها سلالة محلية كما أسلفنا، ومن الملوك ما قبل السقوط الأكدي:

1-الملك ايكيكي (Igigi): الاسم أطلق على آلهة السماء في الميثولوجيا السومرية مع اسم انونافي (Annunaki).

2-الملك نانيوم (Nanum): كان أحد المنافسين الأربعة وسقط مع زملائه الفوضيين على يد الملك دودو.

3-الملك ايمي (Emi): لا يعرف عنه شيء.

4-الملك ايلو – دان (Elulu) أو (Elili): عثر على نقش بالقرب من اريدو كتب عليه (ايلو ملك أور) ⁽²⁸⁾، وحكم هؤلاء الفرسان الأربعة من (2189) ولغاية (2187) ق.م، وليس هناك وثائق عن هؤلاء المتنافسين على السلطة، ولذا حذفت أسمائهم من بعض القوائم.

5-الملك دودو (Dudu) (2168-2186) ق.م: حكم (21) عاما، استلم الحكم بعد فترة فوضوية دامت ثلاث سنوات منذ موت شار-كالي-شري، يعتقد أنه شن حملة على جرسو، واوما، وعيلام، وقد ازدادت غارات الغوتيون مما يجعلنا نتصور أن الملك ايلو (Elulu) هو في الأصل ملك گوتي.

6-الملك شودورل (Shu-turul) (Shu-Durul) (2154-2168) ق.م: ابن الملك دودو، طبقا لقائمة ملوك سومر فإنه حكم (15) عاما، عثر على طبغات ختم له، وحكم بضعة مقاطعات منها كيش وتوتب (Tutub)، وأمد نفوذه إلى اشنونا، وأطلق على نهر ديالو اسم شودورل (Shu-durul) ⁽²⁹⁾، ويفترض بعض الباحثين أن هذين الملكين (دودو) و(شودورل) قد حكما تحت السيطرة الغوتية، وفي السنوات الأخيرة من حكم الملك شودورل نجح (الگوتيون) في شن هجوم كبير قضى على حكم السلالة الأكديّة ⁽³⁰⁾.

وفي جبال شمال العراق نحت (انوبانيي) ملك اللولوبيين، صوره على صخرة تضم نقوشا أكديّة تمجد فتوحاته الكبيرة ⁽³¹⁾، ومع هذا لم يكن العيلاميون ولا اللولوبيون هم الذين ربّحوا المعركة الأخيرة والحاسمة ضد الأكديين، فقد حدثت الكارثة من قبل حشود الغوتيين (محتمل أصولهم كسبانية (Caspian) (منطقة بحر قزوين) الذين غزوا البلاد وحققوا انتصارا ساحقا على سومر وأكد التي استسلمتا للمحتلين البرابرة القادمين من جبال زاكروس شمال السليمانية.

هل كان السقوط الأكدي حتميا

لقد انتهى العصر المجيد لبلاد أكد وتاريخها العظيم الذي خط من قبل أربعة ملوك عظام (سرجون)، و (رموش)، و (مانشتوسو)، و (نرام-سين)، وعلى الرغم من وجود بعض المقاومة السومرية لهؤلاء الأكديين

(26) طه باقر : (1973) ، ص 372 // هاري ساكز : (1979) ، ص 72

Grahame Clark and Stuart Piggott: (1976). p. 279

(27) جورج رو : (1984) ، ص 217

(28) معنى ايلو (ilu) (الإله الخاص)، ويعتقد البابليين ان لكل إنسان عددا من (الأرواح) التي تحافظ على حياته ومنها ايلو الإله الحامي الخاص، و عشتارو (Ištaru) الإلهة الخاصة، و سيدو (sédu) (الروح)..الخ وهكذا وجود عدد كبير من الأرواح الخارجية التي تكمن خارج جسد الإنسان: كلشكوف: (1995)، ص 45

(29) Bedřich Hrozný: (1953). p. 76

(30) طه باقر: (1973)، ص 373 // نواله أحمد محمود المتولي: (1994)، ص 5-8

(31) جورج رو : (1984): ص 217

الساميين، فأن مدينة أكد فرضت سيطرتها على منطقتي سومر وأكد (وسط وجنوب العراق القديم) ولفترة طويلة، وعملية استيعاب الثقافة السومرية من قبل الأكديين تلت السقوط الأكدي مباشرة، أن نشوء وسقوط الامبراطورية الأكديّة برؤية مسبقة لشكل ازدهار وسقوط كل امبراطوريات بلاد الرافدين المتتالية التي تتميز بتوسع سريع تتبّع تمردات وحروب وثورات داخلية وخارجية مستمرة تنتهي أخيراً باحتلال أجنبي يقوم به الغوتيون الآن والعيلايون، والكاشيون، والميديون أو الفرس.

أن حضارة العراق تعتمد على النشاط الزراعي والتعدين ولكي يستمر هذا النشاط الاقتصادي لابد من توفر شرطين: أحدهما التعاون بين المجاميع الرسمية والسياسية والاجتماعية داخل البلد نفسه، وثانيهما الموقف الودي أو على الأقل الحيادي من قبل سكان المناطق المجاورة لهم، ولسوء الحظ كل من الشرطين غير قائم فالسومريين متمسكين بقوميتهم وماضيهم، وخضوعهم لرموزهم الدينية مع الخضوع لحاكم عام كان دائماً من (الأجانب)، كما أن الثروات المتجمعة في المدن ومعابدها سببا في أطماع الرعاة من التلال المجاورة فيتعرض البلد للسلب والنهب والاغارة المستمرة، ولأجل ابقاء بلاد الرافدين بعيداً عن أيدي الطامعين كان الزاماً على الملوك أن يخوضوا حروباً مستمرة لإبقاء شرايين تجارتهم الحيوية مفتوحة، وكانت تلك الحروب تستنزف طاقات ملوك أكد ومن بعدهم أور، و بابل، وأشور، فتعرضت امبراطورياتهم للسقوط بعد فترات طويلة أو قصيرة .

عموما الحكم الأكدي أوجد تغييرات عده من الناحية السياسية، فقد انتهى عصر دويلات المدن الصغيرة وبدأ عصر الممالك الكبيرة⁽³²⁾، أما في الجوانب الاقتصادية والاجتماعية فقد انحاز الأكديين للملكية الفردية وتكوين مقاطعات الملكية الكبيرة التي أدت إلى تفكك الأساس الذي ارتكزت عليه مدينة-المعبد السومرية⁽³³⁾، وحتى النهوض السومري ما بعد سقوط الحكم الأكدي لم تؤدي إلى عودة العادات والأفكار القديمة إذ اتبع ملوك أور في عدة مجالات النموذج الذي رسخه سرجون الأكدي وملوك سلالته⁽³⁴⁾.

وكتقييم للفعاليات العسكرية الأكديّة التي شملت مساحة كبيرة وبعيدة من منطقة الشرق الأدنى القديم، مثل غابات الارز في لبنان، وروافد دجلة والفرات في وسط تركيا الحديثة، ومرخشي في شرق عيلام، ومناطق عبر البحر السفلي (بمعنى الخليج العربي)، هذه الحملات العسكرية اوصلتهم إلى مناطق البضائع النادرة كالصخور الصلبة، والأخشاب، والفضة، وحصولهم على الاسلاب من تلك المناطق وكلها نقلت إلى العاصمة أكاده، فقد عثر على بضعة أواني حجرية في أور، ونيبور، وقد نقش عليها عبارات توضح انها من اسلاب منطقة ماجان (مگان) (عُمان)، مما يدل على أن تلك المناطق كانت تحت السيطرة الأكديّة، ويمكن القول بأن الهدف من الهجمات الحربية احتكار طرق التجارة، فالسفن من ما وراء البحار مثل دلمون (البحرين) و ماجان، وميلوخا (وادي الهندوس Indus) يقال انها كانت ترسو في ميناء أكد، وعندما ادعى نرام-سين أنه غزا مگان (عُمان)، فإن الاحتمال الكبير بأنه استخدم جيشه لضمان الوصول إلى مصادر الموارد الطبيعية .

كانت الظروف المحلية في المناطق التابعة وعلى المدى البعيد تخضع للحضور الأكدي الذي حافظ على تلك المنطقة العريضة، فنحن نلاحظ تشكيلة التفاعلات في سوسه (غرب ايران) وكمثال اصبحت اللغة فيها هي الأكديّة، وأشار الحكام المحليين إلى استخدامهم الألقاب السومرية مثلاً الحاكم (أنسي) (énsi) أو رتبة الجنرال (شاكينا) (shagina)، وهذا دليل على الاعتماد الكامل على ملوك أكد، من جانب آخر حكام سوسه احتفظوا بشيء من السلطة، فقد عقد نرام-سين معاهدة مع حاكم اسمه غير معروف أو ربما مسؤول رفيع المستوى في سوسه⁽³⁵⁾، وكتبت المعاهدة باللغة العيلامية، ولم تحدد الاتفاقية أي خضوع للسلطة الأكديّة فقط تعهد الطرف

(32) Elizabeth Lansing: (1974) .p. 42- 52

(33) Whitehouse, Ruth: (1977). Pp. 89- 104

(34) جورج رو : (1984) ، ص 218- 219

(35) سبق الإشارة الى تلك المعاهدة وقد ذكرت بان (خته) (Khita) أو (خيان) ملك (اوان) (الملك الحادي عشر في سلالة اوان ، وكان معاصراً لنرام-سين) ربما هو الذي وقع الاتفاقية مع الملك الأكدي.

العيلامي بملاحظة ومطاردة اعداء نرام-سين وكأنهم اعدائه، وهكذا فإن الاستقلال الذاتي لعيلام لا يجب ان يستخف به!

أسس الأكديون في سوريا موطن قدم في بعض المراكز اشاره إلى وجود حاميات عسكرية أو ممثل تجاري هناك، ففي نكار (Nagar) (تل البراك حاليا) عثر على بناء ضخيم شيد بأجر عليه ختم الملك نرام-سين، ولا يعرف إذا كان هذا البناء حصن عسكري أو اداري أو مقر إقامة الملك الأكدي⁽³⁶⁾، وفي نينوى شيد مانشتوسو معبد كرس للإلهة عشتار التي لها مكانة مهمة في السلالة الأكديّة.

يبقى السؤال كيف كان الوجود الأكدي في المناطق الخارجية؟ بل وفي أرجاء الشرق الأدنى القديم، فقد بينت الوثائق الادارية الأكديّة في منطقة دياتي (Diyala) (محتمل جزء من قلب الوطن الأكدي)، وفي سوسة باعيلام، وجاسور (Gasur)، وآشور (Assur) في بلاد الاشوريين، وماري (Mari) في المنطقة الوسطى من نهر الفرات، وفي شمال سوريا ضمن عدة مواقع، منها نكار (Nagar)، وأوركيش (Urkeshe) (تل موزان Mozan حاليا)، وشيخنا (Shehna) (تل ليلان Leilan حاليا)، وأشناكوم (Ashnakkum) (تل شجر بازار Chagar Bazar حاليا)، أن استعمال الاسلوب الأكدي في كتابة الوثائق ليس بالضرورة دليل على الادارة الملكية الأكديّة، ولكن كما هو معروف في أواخر عصر فجر السلالات نرى انتشار ممارسات الكاتب في فن الكتابة في جنوب العراق القديم وانتشاره في انحاء الشرق الأدنى القديم، وبذلك فإن السيطرة الأكديّة العسكرية على الاقاليم الواسعة الانتشار في المنطقة تبدو غير محتملة! من المحتمل أسس كبار ملوك الأكديين النقاط التي من خلالها تمكنهم من توجيه مصالحهم التجارية، وربما دعمت بالتهديد بعمل عسكري صارم.

اما المناطق البعيدة فقد ارتبطت مع أكد بعلاقات دبلوماسية، أو المصاهرات، فقد عثر على طبقات اختام ابنة نرام-سين وتدعى ترام-أكادي (Taram-Agade) في مدينة أوركيش بشمال سوريا، وحتما انها كانت تعيش هناك كزوجة لحاكم محلي، وأيضا زواج الأميرة - وأصلها من مرخشي الولاية الشرقية - من الملك شار-كالي-شري أو أبنيه، مثل هذه الزيجات تشير إلى ان الدولة الأكديّة القديمة لم يكن بينها وبين الدول المجاورة لها فراغ سياسي، انما كان الأكديين محاطين من قبل دول قادرة على التفاوض بمستوى من المساواة، ولكن لسوء الحظ نحن نعرف الأحداث والدول وكيفية التعامل معهم إلا من خلال عيون الأكديين فقط، لذا نحن لا نستطيع أن نقيم قوتهم أو سلطتهم الحقيقة! وكيف كانت!

أن التأثير البعيد للملكية الأكديّة والانجاز الكبير هو كيف لاحظ الملوك انفسهم، سابقا تحت حكم سرجون استخدم اللقب التقليدي (ملك كيش) ثم أصبح (ملك العالم)، واستعمل اسم مشابه لمدينة كيش والتعبير الأكدي (العالم الأهل بالسكان) (kish shatum)، اما نرام-سين فقد سار في تمجيد النفس، ففي البداية استعمل اللقب (ملك الجهات الاربعة للعالم)، وعلى إثر النجاح الذي حققته جيوشه قادته إلى ادعاء منزلة سامية أكبر بكثير بعد أن سحق التمرد الرئيسي الذي حدث في بابل، فقد اتخذ خطوه لم يسبق لها مثيل في بلاد الرافدين بان جعل نفسه إله، والوصف الوحيد وجد في شمال العراق وهو ليس من الضروري تم نقشه في عهد نرام-سين، انما الأوصاف لهذا التصرف جاء من قبل السكان في العاصمة أكادة: (نرام- سين القوي لأوحد، ملك أكد، عندما كانت الجهات الاربعة للعالم كلها معادية له، ومع هذا حقق الانتصارات في تسعة معارك وفي سنة واحدة، بسبب حب الإلهة عشتار شخصيا له، وقد أسر الملوك الذين تمردوا ضده، لأنه كان عليه ان يحمي مدينته في وقت الازمات، وطلب (سكان مدينته) من عشتار في ايننا (Eanna)، ومن انليل في نيبور، ومن داجان في توتول (Tuttul)، ومن ننخرساك (Ninhursaga) في كيش، ومن انكي في اريدو، ومن سين في أور، ومن شماش في سبار، ومن نيركال في كوثه (Kutha)، ان يكون إله لمدينتهم أكد، فشيّدوا معبدا له في وسط أكد⁽³⁷⁾، اما النقوش التي تحمل اسمه فقد سبق الاسم نجمة للدلالة على انه أسم إله، كما وضع صورة النجمة في أعلى مسلة النصر وارتدى الخوذة المقرنة وهي لباس الرأس لدى الآلهة (شكل 1 يسار).

(36) سبق الإشارة إلى تصميم هذا القصر وقاعاته والمخازن، وارتفاع الجدران: صلاح رشيد الصالحي: (2017)، ص160

(37) راجع الباحث (Farber) في بحثه (تأليه نارام سين):



شكل 2: مسلة الملك اورنمو مؤسس سلالة اور الثالثة، شيد زقورة أور وكرسها للإله نانا (Nanna) إله القمر راعي مدينة أور السومرية، ويرمز له بالهلال في أعلى المسلة، وفي وسط الهلال رمز الإله اوتو (إله الشمس)، بينما يقف الملك في حالة تعبد أما المذبح، في الأفرز الأسفل على جهة اليمين يسقي اور نمو شجرة الحياة أمام إله نانا والملك يرتدي عمامة ورداء طويل، بينما الآلهة ترتدي قبعات مقرنة دليل الإلهية، ونفس المشهد يتكرر في جهة اليسار في سقي شجرة الحياة، في الأفرز الثالث ما بقي فيه الملك اورنمو بعمامته وردائه الطويل يقف خلفه عبد أو كاهن وأمام الملك السومري يظهر رأس إله من واقع القبة المقرنة (اليمين)، شكل سجين سومري على لوحة انتصار لسرجون الأكدي، تصفيفة شعر الرأس للسجناء يلاحظ الشعر المجعد في الأعلى والشعر القصير على الجانبين وهي سمة من سمات السومريين (من مقتنيات متحف اللوفر (اليسار))

كانت الهيمنة الأكديّة غير مستقرة في بابل وفي مناطق واسعة من الشرق الأدنى، وقابل الحكم الأكدي مقاومة وضغط على الدولة وكانت المعارضة ضد أكد تتركز في بابل في تلك الفترة، وكانت السبب الرئيسي في فشل حركات التمرد هو قمعها بقوة وقسوة، فلدينا بضعة نقوش للملك رموش ادعى بأنه قتل أو أسر عشرات الآلاف من الرجال من المدن الجنوبيّة، ربما هذه أرقام فيها مبالغة! لكنها تدل على إجراءات صارمه، والوصف الأكثر اتقاناً للانتفاضة جاء من فترة حكم نرام-سين، الذي واجه تحالف ضم المدن البابليّة: الأول في الشمال بزعمارة افور-كيش (Iphur-Kish) ملك كيش، والثاني من الجنوب بزعمارة امار-كريد (Amar-girid) ملك اوروك حتى ان المنطقة القريبة من العاصمة اشتركت في المقاومة ضد أكد، وهي إشارة بان فكرة الحكم المركزي كان أمراً لا يطاق في كل مكان، ان عدد المدن الثائرة كان عظيماً فليس هناك مدينة واحدة مهمه إلا وشاركت في التمرد، جمع لأفور-كيش جيوش من المدن التي تقع شمال كيش، وهي كوثة، وتيوا (Tiwa)، وسپار، وكزالو (Kazallu)، وكريتاب (Kiritab)، وأباك (Apiak)، واريش (Eresh)، ودلبات (Dilbat)، وبورسبا (Borsippa)، بينما امار-كريد حشد المدن الجنوبيّة من اوروك، وأور، ولگش، واوما، وادابا (Adab) (حالياً بسمايا)، وشروباك (Shuruppak)، وايسن (Isin)، ونيبور، إضافة إلى الساكنين على ساحل البحر السفلي (الخليج العربي)، وقد وصفت المعركة بأنها حدثت في أرض مكشوفة في العراق، وحدثت المعركة بين جيشين

نظامين من مدرسة عسكرية عراقية واحدة، وشارك فيها اعداد كبيرة من الرجال، وعلى ما يبدو ان للمدن قدرة في تصعيد المعارضة العسكرية وهي اشارة إلى النظم المحلية التي واصلت البقاء حتى بعد عدة عقود من سقوط الحكم الاكدي .

لقد ادعى نرام-سين النصر السريع في المعركة، ومن المحتمل بعد ان حقق النصر أعلن نفسه إله، فقد كان التهديد لحكمه جدياً، ومحتمل وبدون تهكم فان نرام-سين قرر بان الآلهة لكل المدن الثائرة ضده طلبت منه ان يمنحها تماثيله المقدسة (38).

كانت المشاكل البابلية أحد الاسباب التي اثارَت المعارضة ضد أكد وفي مناطق اخرى من الشرق الادنى القديم، ومعلوماتنا عن الوجود الأكدي في المناطق المختلفة جاءت صدفة في أحسن الأحوال، ومن الطبيعي فان السيادة الأكديّة كانت متفاوتة وليس بالضرورة قوية، ففي سوسه باعيلام كان (إيفر-موبي) (Epir- mupi) حاكماً محلياً قد عين من قبل نرام-سين أو ولده شار-كالي-شري، وقد تشرف في خدمت الملك بلقب (الرجل الأقوى)، واللقب عادة محجوز للملوك وليس لحاكم محلي صغير، أما حاكم دولة-المدينة في آشور ويدعى اتيّتي (Ititi) فقد حكم أثناء الفترة الأكديّة القديمة، وعثر على لوح من الصخر في معبد عشتار في مدينة آشور وقد كرس الغنيمة إلى عشتار من قبل اتيّتي بالتأكد، قياس اللوح (25 X 21.1) سم واللوح يعود إلى الفترة الأكديّة وذلك لوجود صلة قريبة بين لغة المخطوطة ولهجة الأكديّة القديمة، إن الأسماء: اتيّتي (Ititi)، وإنينلابا (Ininlaba)، وآشور تظهر في النصوص الأكديّة القديمة، أما جاسور فهو الاسم الأكدي القديم لنوزي (كركوك) ، فقد هاجم جاسور (Gasur) كما في النص:

- 1- I-ti-ti
- 2- PA
- 3- DUMU i-nin-la-ba
- 4- In ša₁₀-la-ti
- 5- Ga-sur_x(SAG).KI
- 6- a-na
- 7- ^dINANNA
- 8- A.MU.RU

(8-1) اتيّتي، الحاكم، ابن إنينلابا، كرس (هذا اللوح) من غنيمة جاسور إلى الإلهة عشتار (39).
هذا التصرف يجعلنا في حيرة لأن الملك الأكدي سيطر على كلا المدينتين (40)، ولهذا نحن لا نعرف إذا كانت السيادة الأكديّة كانت مباشرة على تلك المناطق ام لا؟ كذلك لا نعرف إذا كانت تصرفات الحكام المحليين في تلك المناطق يؤشر على وجود ضعف جدي لدى الحاكم الأكدي؟

(38) Marc Van De Mieroop: (2007). p. 70

(39) Grayson Albert K: (2002). p. 7

(40) Ibid : p. 71



شكل 2: طاسة حجرية من العصر الغوتي نقش عليها أسم الملك ايار-لگاب الغوتي (الوسط) ، وهناك نقش آخر في نفس الطاسة تعود إلى شو-دورل الأكدي، من المحتمل الاسم ارلگان أو ايار-لگاب أصبح لقب أكثر مما هو اسم (41)، ولا نعرف كيف كتب نقشين منفصلين في طاسة نذرية واحدة (من مجموعة روزين (Rosen

وأخيرا سقطت أكد على يد القبائل الغوتية (42) الذين حكموا مدة قرن من الزمان خلالها تنفس السومريين الصعداء واسسوا سلالة أور الثالثة في بلاد سومر بعد السقوط الغوتي، واستمرت الانبعاث السومري الأخير مدة مائة عام وكما حل بمن سبقهم سقطت أور وأصبح السومريين في قائمة النسيان، ولكن ما هي نوعية الذكرى التي تركها الملوك الأكديين خلال فترة حكمهم في عقول الناس (43) فمن المفيد ان نتساءل بضعة مضامين من أجل فهم أوسع وتشمل تلك التساؤلات:

- (1) هل بقي شيء في عقول الناس عن الحكم الأكدي؟
 - (2) من الذي يتذكره الناس عن الملوك الأكديين؟
 - (3) ما هي نوعية هذه الذاكرة؟ احداث سيئة أم جيدة؟
- هذه النقاط الثلاث هي التي تقودنا إلى عالم دولة أور الثالثة، وما حدث فيها من تغيرات على الصعيدين السياسي والاقتصادي، أن الاجابة على النقاط الثلاث يقودنا إلى العمل الادبي المثير للجدل بين الباحثين في التاريخ القديم وهي قصيدة (لعنة أكد)، التي تعتبر المحور الذي يدور حولها الذاكرة الشعبية في بلاد الرافدين وخاصة موقف السومريين من الأكديين وملوكهم وتصور القصيدة غضب الإله انليل على الملك نرام سين لسرقته معبده (معبد

(41) في كثير من الاحيان يتحول الاسم إلى لقب مثل قيصر الامبراطور الروماني (59- 44 ق.م أصبح اسمه لقب استمر استعماله لغاية الحرب العالمية الأولى مثل قيصر روسيا وقيصر المانيا، وكذلك في مصر الأسرة العشرين (1184-1087) ق.م حمل عدد من ملوكها اسم رع عميسيس (ولدينا أحد عشر ملكا باسم رع عميسيس) كلقب لهم، وفي عهد البطالمة في مصر (323- 30) ق.م أيضا أصبح اسم بطليموس لقباً وحمل العديد من الملوك البطالمة لقب بطليموس، و في قوريناى (كريناىكا) في ليبيا حكمت أسرة ملوكها ذوي أصول يونانية واسم الملك الأول باتوس (باتوس) في برقه (631- 440) ق.م، فيما بعد أصبح لقب لهم وهكذا ... الخ .

(42) وردت إشارات إلى الغوتيين وذكر موقعهم بين أراضي لولوبو (Lullubu)، وارمانو (Armanu) وأكد (بمعنى اقليم دبالى) في الشمال، ونيكو (Niqqu) والدير (Dēr) في الجنوب، ولم تغفل (لعنة أكد) من اعطاء أوصاف متعددة تتصف بالبربرية اتجاه تلك القبائل المستوطنة جبال زاكروس: صلاح رشيد الصالحي: (2017)، ص 209 وما بعدها

(43) قدمت عدة دراسة قيمة عن تأثير السلالة الأكديّة على دولة أور الثالثة والتي غيرت الكثير من المفاهيم السومرية لتلائم دولتهم بعد سقوط أكد:

إيكور (Ekur) ⁽⁴⁴⁾، وحسب قول الشاعر ان الإله الشاب انليل استدعى القبائل الكوتية ⁽⁴⁵⁾ من شمال شرق بلاد الرافدين وتولى هؤلاء الآريين وهم قبائل بدوية متخلفة حضاريا من اسقاط الدولة الأكديّة، ودمروا العاصمة أكادة، ويختتم المؤرخ والشاعر السومري قصيدة (لعنة أكد) قائلا: (هذا ما حدث فعلا بقيت أكد بعد ذلك مقفرة وغير مسكونة)، ولم يعرف شاعرنا السومري اننا بعد ذلك بأربعة آلاف عام ما زلنا نبحث عن بقايا مدينة أكد! ⁽⁴⁶⁾

صراع القوميات في بلاد الرافدين (السامية، والآرية، والسومرية) النصف الثاني الألفية الثالثة ق.م

لابد من النظر إلى الأحداث التاريخية ضمن واقع الحدث وما يريد النص الإشارة إليه، بعيدا عن المديح وصياغة عبارات كما نتصورها من منظور سياسي تملّيه علينا الظروف حسب الزمان والمكان، فقد عانت بلاد الرافدين في مدة ثلاثة قرون تقريبا وهي المحصورة بين الممالك الثلاث: سلالة أكد (الساميين) و الكوتيين (الآريين) وسلالة أور الثالثة (السومريين) صراع على الهوية والثقافة والدين، فهذه الممالك تختلف الواحدة عن الأخرى تماما ومن ثم لم يحصل أي نوع من التعاون السياسي أو التقارب الاجتماعي فيما بينهم بسبب تعالي بعضهم على بعض واختلافهم في التفكير وحتى في جذورهم التاريخية واتجاهاتهم اللغوية .
فالشعب الأكدي ذو قومية سامية (جزرية) لغتها أكديّة وآلهتها تختلف بشكل أو بآخر عن آلهة السومريين، واقتصادهم الأساسي الرعي دخلوا بلاد الرافدين كمهاجرين واشتغلوا اجراء (Agru) وكونوا مستوطنات سرعان ما أصبحت مدن كبيرة مثل عاصمتهم أكاده، وبما انهم من أصول بدوية يدينون بولائهم لرئيس القبيلة فقد شكلوا أول حكومة مركزية قادتهم إلى الفتوحات التي أوصلتهم إلى مناطق لم يذكرها من قبل ملوك سومر، صحيح أننا لا نستطيع اثبات مدى صدق تلك الفتوحات البعيدة (مثل جزيرة كريت، ومصر، والهند.. الخ) لكنها خلّدت ملوكهم عبر التاريخ، واصبحوا مثلا عند البابليين والاشورية أبناء جلدتهم يحتذون بهم، ولكنهم في نفس الوقت مارسوا سياسة ابعاد السومريين من المشاركة في الحكم والتقليل من شأن آلهتهم فكانت النتيجة تدمير مدنهم وسرقت معابدهم وهكذا كسب الأكديين العناد السومري وكثرة حركات التمرد ضد الشعب الأكدي ليس فقط على الصعيد الاضطرابات انما امتد الى الجانب الإعلامي عندما برع كتبة سومر في صياغة النصوص الأدبية على لسان الالهة السومرية التي صبت غضبها على الأكديين و وعدتهم بتقويض مملكتهم ومدنهم وجعلها نسيا منسيا ويبدو أن آلهة سومر اوفت بوعدها فقد سقطت المملكة الأكديّة نهائيا واختفت عاصمتهم أكادة الى الابد ولا زلنا نبحث عنها بين الخرائب والتلال .

مع فشل محاولات الشعب السومري في التمرد والعصيان كان لابد من قوة بدوية تزيل الدولة الأكديّة فكان التعاون السومري مع الكوتيين وهم قبائل آرية تستوطن جبال زاكروس ومن المحتمل كان هناك تنسيق سومري في طلب المساعدة العسكرية من الكوتيين لغرض انهاء مملكة أكد كما يحدث دائما عبر التاريخ عندما يستنجد

(44) راجع قصيدة (لعنة أكد) : صلاح رشيد الصالحي: (2017)، ص 208-183

(45) حكم الكوتيين (2100-2200) ق.م، وقد صف سكان بلاد الرافدين القمء الكوتيين بأنهم قبائل نصف متوحشة، ولذلك أطلقوا عليهم تسمية كما وردت في إحدى كتاباتهم المسمارية (تعابيين الجبال القارصة)، ولا يعلم على وجه التأكيد أصولهم هل كانوا من الاقوام الهند-اوربية؟ أم الآرية وهي الأرجح، وأيضا من الصعب تحديد اماكن استيطانهم! فلا وثائق عنهم توضح اماكن سكنهم، لكن الكثير من الباحثين اتفقوا على استيطانهم بين سلاسل جبال زاكروس على الحدود الشرقية لبلاد الرافدين وإيران الحالية، وعلى ما يبدو انهم يجاورون اللولوبيين إلى الجنوب من منطقة سهل شهرزور التي كانت موطن أولئك اللولوبيين، على أية حال ذكر احفادهم باسم (قوتو) في رسائل ماري (الألف الثانية ق.م) ومن حيث التأصيل اللغوي يمكن ان نصل إلى قوتو = گوتو= گوردو: صلاح رشيد الصالحي: (2017)، ص 211

(46) Jerrold S. Cooper: (1983). // Samuel Noah Kramer: (1963). Pp. 62- 66

البابليون بـ(عيلام) أو (الميديين) في التخلص من الحكم الاشوري، وقد حقق الكوتيين رغبات الشعب السومري في استمرار استقلاليتهم مثل مدن لكش وكيش وأور ..الخ وبذلك عاد المبدأ القديم في إدارة الدولة المعروف باسم (دولة-المدينة)، وبما ان الغزاة الجدد ذوي قومية وثقافة غريبة عن سكان بلاد الرافدين فلم يحققوا ما كانوا يسعون اليه من حب في عيون الشعب السومري، ولذلك واجهوا الرفض السومري وفشل التعاون والتقارب مع شعابين الجبال القارصة، وانبرى الكتبة السومريين مرة أخرى يصفون الكوتيين بعدة أوصاف اقرب للتحقير وذمهم والتقليل من شأنهم على الرغم من ان آلهة سومر هي التي استدعتهم سابقا للقضاء على المملكة الأكديّة، ومع هذا الموقف انسحب رعاة الجبال وانحصرت سيادتهم الفعلية في ارابخا (كركوك) (بالأكديّة URU. arrap-ḫa URU. ḫa-lah-hu) في أواخر عهدهم تاركين للملوك الصغار في الجنوب حرية الاستقلال الذاتي في ظل السيادة الكوتية الاسمية.

أما الشعب السومريين فهم محور الصراع والعنصر المشاكس في المعادلة السياسية، فقد اعتبروا انفسهم الأصل في كل شيء فهم اقرب إلى المصطلح (شعب الآلهة المختار) وهم محقين في هذا، فتاريخهم عريق تبدأ من اصولهم الأولى عندما أسسوا القرى الزراعية في شمال العراق ونزحوا إلى الجنوب مع زيادة اعدادهم وحاجتهم للأراضي الزراعية لان كانوا يعتمدون على الاقتصاد الزراعي ومن ثم فهم في حالة صراع مع المجتمعات البدوية وهذا ما نلاحظه حتى في القانون السومري الذي اعتمد على مبدأ التعويض المادي في العقوبات بينما المجتمعات البدوية اعتمدت على مبدأ (العين بالعين والسن بالسن)، وكذلك يلائمهم استقلالية مدنها وقراهم ومزارعهم فتنبوا مبدأ (دولة-المدينة)، فسببت لهم صراعات دموية فيما بينهم من أجل حدود الأراضي الزراعية والمياه، مع هذا لهم الفضل في اكتشاف أسلوب الكتابة المسمارية والاختام بأشكالها المنبسطة والاسطوانية، وبرعوا في بناء الصروح العالية (الزقورات) المكرسة للآلهة وقدموا الاساطير التي تتحدث عن آلهتهم وبطولاتها، وهكذا لديهم اعتزاز كامل في هويتهم ، فأى قوة أخرى لا تسير ضمن مفهومهم فلن يكون هناك تعاون معها، لذلك وقفوا ضد سياسة الأكديين ومشاريعهم التوسعية حتى اسقطوهم نهائيا، وانقلبوا على صديق الامس الشعب الكوتي فانها وجوده في عالمهم الجنوبي، وهكذا اثبتوا ان لديهم ثقل لا يستهان به، وعلى هذا الأساس قادوا من وجهة نظرهم حركات التحرير ضد الأكديين والكوتيين، ولكن لا تعود عقارب الساعة إلى الوراء فسرعان تغيرت لعبة الحضارة ودولة المدينة لا تقي بالمتغيرات الجديدة بعد قرنين من حكم (الأكدي-الكوتي)، فتخلوا عن بعض من أفكارهم التي ورثوها وفي مقدمتها دولة-المدينة.

لقد تخلى السومريون عن الكثير من القيم السياسية التي ورثوها عن اجدادهم ملوك عصر فجر السلاطات، وانطلقوا مقلدين الأكديين في فتوحات واسعة خارج قوقعتهم بلاد سومر فساروا غربا باتجاه الفرات وشمالا اوصلتهم إلى آشور، وشرقا باتجاه عيلام وجبال زاكروس وجنوبا حتى الخليج العربي، وهكذا من القطرية إلى الأممية .

لقد تقاسمت الممالك الثلاث (الأكديّة، والكوتية، والسومرية) الحكم قرابة ثلاثة قرون في بلاد الرافدين، وكل واحدة تركت بصماتها واضحة إلى الدولة التي تليها، فالدولة الأكديّة تركت القوة والمركزية في إدارة الحكم ورفعت شعار الملوك المؤلهين وبذلك أوصلت ملوكهم إلى مستوى اسطوري فوق الجميع الملوك، بالمقابل ترك الكوتيين سمعة سيئة في العودة للنظام اللامركزي مع ضعف سلطة ملوكهم وتخلفهم الحضاري وكأنهم اعادوا بلاد الرافدين الى الوراء بل أن اسم كوتي وبلاد كوتي بقي قيد الاستعمال حتى أواخر عصر الأسرة السرجونية الاشورية، أما السومريون فقد تركوا بصمات واضحة في نهوضهم الأخير بالعودة إلى المركزية في الحكم ورفع شعار إلهوية ملوكهم وتمجيد آلهتهم التي بقيت تعبد بنفس اسمائها إلى النص الثاني من الالف الأول ق.م، وهكذا كل دولة من هذه الممالك الثلاث بصماتها واضحة في بلاد الرافدين.

المصادر العربية

- 1- جورج رو: العراق القديم، ترجمة حسين علوان حسين، بغداد، 1984
- 2- دولا بورت. ل: بلاد ما بين النهرين، حضارة بابل وأشور، ترجمة مارون الخوري، بيروت، 1971
- 3- سامي سعيد الاحمد و (آخرون): الإدارة ونظام الحكم، حضارة العراق، الجزء الأول، بغداد، 1984
- 4- سامي سعيد الاحمد: المدخل إلى تاريخ العالم القديم-القسم الثاني -تاريخ العراق القديم: من العصر الأكدي إلى نهاية العصر البابلي القديم، الجزء الثاني، بغداد، 1983
- 5- صلاح رشيد الصالحي: بلاد الرافدين، دراسة في تاريخ وحضارة العراق القديم، الجزء الأول، بغداد، 2017
- 6- طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات، الجزء الأول، بغداد، 1973
- 7- فاضل عبد الواحد على و (آخرون): صراع السومريين والاكديين مع الأقوام الشرقية والشمالية الشرقية المجاورة لبلاد وادي الرافدين 2500-2000 ق.م، الصراع العراقي الفارسي، بغداد، 1983
- 8- فوزي رشيد: سرجون الأكدي، بغداد، 1990
- 9- فوزي رشيد: نرام-سين، بغداد، 1990
- 10- كلشكوف: الحياة الروحية في بابل الإنسان – المصير – الزمن، ترجمة عدنان عاكف حمودي، منشورات المدى للثقافة والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، 1995
- 11- نواله أحمد محمود المتولي: مدخل في دراسة الحياة الاقتصادية لدولة أور الثالثة في ضوء الوثائق المسمارية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، بغداد، 1994
- 12- هاري ساكز: عظمة بابل، ترجمة عامر سليمان، الموصل، 1979
- 13- هاني عبد الغني عبد الله بكر: حركات التحرير في العراق القديم من عصر فجر السلالات السومرية حتى نهاية الاحتلال الفارسي الأخميني، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، موصل، 2005

References

- 1- Albert K. Grayson: "Assyrian Rulers of the Early First Millennium B.C II (858-745 B.C)," Publication: Toronto University of Toronto Press. 2002
- 2- Bedřich Hrozný: Hrozný, Bedřich: "Ancient history of Western Asia, India and Crete," Translated by Jindřich Prochazka. Prague. 1953
- 3- Elizabeth Lansing: "The Sumerians, Inventors and Builders," London. 1974
- 4- Farber, Walter: "...But she refuses to take the silver," In K. R. Veenhof Anniversary Volume, eds. W. H. van Soldt et alii, Leiden, 2001
- 5- Grahame Clark and Stuart Piggott: Grahame Clark and Stuart Piggott: "Prehistoric Societies," London. 1976
- 6- Jerrold S. Cooper: "The Curse of Agade," Baltimore: The Johns Hopkins University Press. 1983
- 7- Jerrold S. Cooper: "Literature and History: The Historical and Political Referents Literary Texts". Pp. 131-147. In Proceedings of the XLVe Rencontre Assyriologique Internationale. Part I. Harvard University Historiography in the Cuneiform World. eds. T. Abusch, Paul-Alain . Beaulieu, J. Huehnergard. P. Machinist and Piotr Steinkeller. Bethesda: CDL. 2001
- 8- Marc Van De Mieroop: "A History of the Ancient Near East ca. 3000-323 B.C," Second Edition. Blackwell Publishing. 2007
- 9- Piotr Steinkeller: "An Ur III Manuscript of the Sumerian King List." Pp. 267-292 in Literatur. Politik und Recht in Mesopotamien. Festschrift für Claus Wilcke, eds. Walther Sallaberger and K. Volk and A. Zgoll. Orientalia Biblica et Christiana 14. Wiesbaden. Harrassowitz. 2003
- 10- Ruth Whitehouse: "The First Cities," Oxford. 1977
- 11- Samuel Noah Kramer: "The Sumerians: Their history, Culture, and Character," The University of Chicago Press, 1963